

# مفهوم النص القرآني وخصائصه "الحبك" نموذجاً

## إعداد

أ. د. إيمان فؤاد بركات  
أستاذ اللغة العربية وآدابها  
جامعة دمنهور

أ. بسمه إبراهيم أبوبكر صالح  
باحثة دكتوراة  
بقسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة دمنهور

دورية الانسانيات . كلية الآداب . جامعة دمنهور  
العدد الحادي والستون - يوليو - الجزء الأول - لسنة 2023



### الملخص

عندما نتأمل الكون بكل ما فيه ومن فيه نجده مكونا من أشياء مرئية وأخرى غير مرئية، ومن التكوينات الغير مرئية هو ما يربط المكونات ببعضها البعض، وما يربطهم جميع بالفضاء، وهو ما يُسمّى بـ(الحبك).

ولو تأملنا المعاني المتعددة لكلمة (الحبك) لخرجنا منها بأنها تتضمن المعنى الأساسي، وهو إحكام الصنعة وإتقانها وحسن تدبيره عز وجل، فقد قال ابن الأعرابي: "إن كل شيء قد أحكمته وأحسنه عمله فقد احتبكته".

ومع تطور العلم توصل علماء الفيزياء إلى معنى (الحبك) فهو ليس الفراغ الذي فسروه العلماء قديما، بل هي أنسجة وخيوط وحقول كهربائية ومغناطيسية تسمى بـ(الطاقات) وهي متعددة دائمة الوجود، كما أنها تتحرك وتتشابك وتتصل فيما بينها وتتجاذب للربط بين مكونات الفضاء؛ فالفراغ غير موجود علميا، وحسب النظرية الكمية فإن شيئا غير محسوب وغير معلل يربط الأشياء المنفصلة فيما بينها وهو ما تفسره الآية الكريمة: "والسماوات ذات الحبكة"، كما أن هذه الأنسجة والخيوط تتشابه لكنها لا تتماثل فجميع مخلوقات الله المرئية والغير مرئية تتشابه لكنها لا تتماثل، كبصمة أصابع الإنسان قد تتشابه لكنها لا تتماثل .

When we contemplate the universe with all that is in it and whoever is in it, we find it composed of visible and invisible things, and among the invisible formations is what connects the components to each other, and what connects them all to space, which is called (knitting).

And if we contemplated the multiple meanings of the word (knitting), we would come out of it as containing the basic meaning, Ibn El-A3rabi said, "which is the precision of workmanship, its mastery, and the good management".

With the development of science, physicists have come to the meaning of (knit), as it is not the void that scientists interpreted in the past, but rather it is tissues, threads, and electric and magnetic fields called (energies), which are multiple and always present, as they move, intertwine, connect with each other, and attract to link the components of space. Emptiness does not exist scientifically, and according to the quantitative theory, something uncalculated and unexplained connects the separate things among themselves, which is explained by the noble verse: "And the sky with a weave", just as these tissues and threads are similar, but they are not alike, as all of God's visible and invisible creatures are alike, but they are not alike, like a human's fingerprint may be similar, but it is not alike.

## مفهوم النص القرآني وخصوصيته:

أولاً: مفهوم النص القرآني:

النص القرآني أسمى وأشرف من أن يعرف بكلام البشر، ومع ذلك فقد اهتم علماء أصول الفقه بتعريف النص القرآني لأغراض متعددة، منها:

- بيان فضل النص القرآني.

- بيان خصوصية النص القرآني التي تميزه عن غيره من الكتب السماوية الأخرى، وعن كتب البشر.

- بيان إعجاز النص القرآني منذ نزول الوحي وحتى قيام الساعة.

ومهما كتب ومهما قيل عن القرآن الكريم فهو ليس مجرد كتاب، بل هو مهج حياة للإنسان المسلم ينظم حياة المسلمين، من: عبادات، ومعاملات، وأقوال، وأفعال، فالقرآن لم يترك أمر من أمور الإنسان إلا وقد ناقشه ووضع حداً له، ولم يترك جانباً من جوانب حياته إلا وقد تطرق له، وبين الحكم الشرعي منه.

وقد عرف القرآن نفسه بنفسه، من ذلك قوله تعالى: "ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم<sup>(1)</sup>"، كما قال جل شأنه: "ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين<sup>(2)</sup>"، وقال تبارك وتعالى: "يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبيناً<sup>(3)</sup>".

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم- بطريقة الوحي بعد أن كان مكتوباً في اللوح المحفوظ، قال تعالى: "بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ<sup>(4)</sup>" ثم أنزله الله إلى بيت العزة في السماء جملة واحدة في ليلة القدر، قال تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر<sup>(5)</sup>"، وبعد ذلك أنزل منجماً -أي: متفرقاً- على النبي -صلى الله عليه وسلم- على مدى ثلاثة وعشرين عاماً -وهي مدة البعثة النبوية الشريفة- المنقول إلينا بالتواتر حفظاً وكتابة، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصاحف مبدؤاً بسورة الفاتحة ومختوماً بسورة الناس.

(1) سورة الحجر، آية 87.

(2) سورة النحل، آية 89.

(3) سورة النساء، آية 174.

(4) سورة البروج، آية 22.

**(5) سورة القدر، آية 1.**

وما لنا أن نتحدث بكلام ألسنتنا عن النص القرآني وقد تحدث هو عن نفسه بنفسه ولا حاجة له في تعريفنا البشري له، قال جل وعلا: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا فيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكتين فيه أبدا<sup>(1)</sup>"، وقال سبحانه وتعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وأن الذين لا يؤمنون بالأخرة أعتدنا لهم عذابا أليما<sup>(2)</sup>"، كما قال جل شأنه: "فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسّم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين<sup>(3)</sup>"، وقال تبارك وتعالى: "وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد<sup>(4)</sup>".

للأسباب التي ذكرت فهي مثل قطرة من الغيث وللأسباب التي ما ذكرت رفع الله سبحانه وتعالى شأن أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته إلى أعلى المراتب؛ فهم يتاجرون تجارة رابحة مع الله، تجارة لا ولن ولم تبور، يقول جل في علاه: "إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور<sup>(5)</sup>" يؤازره قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "إن لله أهلين من الناس، قالوا يا رسول الله: من هم؟ قال: هم أهل القرآن؛ أهل الله وخاصته<sup>(6)</sup>" (سنن ابن ماجه).

**ثانيا: فضل النص القرآني:**

أنزل الله القرآن الكريم تبصرة للناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية والحق، واصطفى سبحانه وتعالى محمدا ليوحى إليه هذا القرآن؛ فأصبحت أمته بهدي القرآن خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله<sup>(7)</sup>".

(1) سورة الكهف، آيات 1 : 3.

(2) سورة الإسراء، آيتان 9، 10.

(3) سورة الواقعة، آيات 75 : 80.

(4) سورة فصلت، آيتان 41، 42.

(5) سورة فاطر، آيتان 29، 30.

(6) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(7) سورة آل عمران، آية 110.

وللنص القرآني فضل عظيم مهما لامسته سيظل فضله يغمرك أكثر بكثرة قراءته وترتيبه، كما ستجدد لديك الفوائد من القراءة؛ وهو أنك كلما قرأت القرآن وجدت أن فهمك للآيات وتفسيرك لها والفائدة المرجوة منها متجددة بعكس القراءات الأخرى التي يصيبك التكرار بقراءتها بالملل والضجر؛ فالنص القرآني معجز في نفسه ومعجز لغيره فكلما قرأت القرآن ارتبطت به أكثر وأصابك التشويق والرغبة في مولاة القراءة وتتابعها، كما أن شعورك بالتجدد والفهم الأدق للآيات يزداد بتكرار القراءة.

وقد جعل الله قراءة القرآن لها فوائد عظيمة؛ هذه الفوائد تغمر الإنسان في دنياه وأيضاً في أخره حيث أنه يجازي على كل حرف حسنة والله يضاعف لمن يشاء، ويتميز القرآن بما فيه من بلاغة وفصاحة وتوقع رد أعجاز الآيات على صدورهم؛ مما يساهم كثيراً في حفظه وقراءته دون ملل أو ضجر؛ فهو السهل الممتع: سهل في حفظه لإيجازه وسلاسة فهمه ووضوحه، ورغم كل ذلك يتمتع ويستحيل الإتيان بمثله فقد نزل القرآن متحدياً لجميع المخلوقات من إنس وجن، فقالوا الجن عندما سمعوه (سمعنا قرآنا عجبا)، قال تبارك وتعالى عن ذلك: "قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنوا به ولم نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا<sup>(1)</sup>"، وكان حالهم بعد أن استمعوا إلى القرآن المعجز أن قالوا: "وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به ولم نشرك بربنا أحدا<sup>(2)</sup>" إلى آخر السورة.

كذلك تحدى القرآن العرب بما عرف عنهم من البلاغة والفصاحة ونظم اللقائيد الشعرية إلا أنهم لم ولن يستطيعوا من إحضار ولو آية من آيات القرآن الكريم، وقد ورد مجمل هذا التحدي في كتاب للدكتور/محمد سيد طنطاوي حيث يقول: "ولقد جاء النبي إلى الناس فدعاهم إلى وحدانية الله وإلى مكارم الأخلاق، وقال لهم: معجزتي الدالة على صدقي هذا القرآن فإن كنتم في شك من ذلك فهاتوا مثله فعجزوا، فأرخصي لهم العنان وتحداهم بأن يأتيوا بعشر سور من مثله فما استطاعوا، فزاد في إرخاء العنان لهم -وهم أرباب البلاغة والبيان- فتحداهم بأن يأتيوا بسورة واحدة من مثله فأخسوا وانقلبوا صاغرين؛ فثبت أن هذا القرآن من عند الله ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا.

قال تعالى: "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن

(1) سورة الجن، آيات 1: 3.

## (2) نفسه، آية 13.

لم تفعلوا ولن تفعلوا فانتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين<sup>(1)</sup>»<sup>(2)</sup>.  
فحديثنا عن النص القرآني وفضله وإعجازه وخصوصيته ومقاصده الدنيوية والأخروية لا ينتهي ولا يضيف إليه جديد ولا يزيده سموا بل نحن من بحاجة إلى الحديث عنه لننال الأجر من الله - بكرمه وفضله-، إضافة إلى أننا نسمو ونرتقي بالحديث عنه، كما أنه تذكرة لأنفسنا ولمن يخلفنا فقد قال الله - عز وجل -: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين"<sup>(3)</sup>، ويظل النص القرآني معجزة ناطقة في فم الزمان.

### ثالثا: خصوصية النص القرآني:

كان النص القرآني ولا يزال محورا للثقافة الإسلامية والحركات الفكرية وسائر النشاطات العقلية بما ميزه الله وخصه بسمات لا يشاركه فيه أي كلام آخر، ومن هذه السمات الفريدة للنص القرآني - التي لا يمكن حصرها - ما يلي:

- 1- نزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بطريقة الوحي:  
من أهم خصائص القرآن الكريم أنه نزل على رسول الله بطريقة الوحي ليخاطب به العرب وغيرهم، وبالتالي فالكتب السماوية الأخرى، مثل: التوراة، والإنجيل لا تعتبر من القرآن الكريم لأنها أنزلت على غير رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.
- 2- أن ألفاظ هذا القرآن ومعانيه من عند الله - تعالى -:

ألفاظ القرآن الكريم من عند الله - تعالى -، وبالتالي فما أوحى إلى الرسول لم ينزل عليه بلفظه لا بكونه قرآنا فإذا عبر عن ذلك الرسول بلفظه ولم يسند ذلك إلى الله تعالى - فذلك الحديث النبوي الشريف، وإذا أسند الرسول ما عبر عنه بلفظه إلى الله - تعالى - فهذا هو الحديث القدسي الذي قاله الرسول فيما يرويه عن ربه - وهو لا يعد قرآنا -، فالكلام المسند إلى الله - تعالى - أنواعه ثلاثة:

أولها: وأعظمها القرآن الكريم.

ثانيها: الكتب التي نزلت على بعض الأنبياء السابقين قبل تغييرها وتحريفها.

ثالثها: الأحاديث القدسية وهي التي نقلت إيناعن رسول الله مع إسنادها لله - عز وجل -، وتروى بطريقتين:

(1) سورة البقرة، آيتان 23، 24.

(2) محمد سيد طنطاوي، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، مطبعة السعادة، مج 1، 1397هـ-1977م، ص 6، 7.

(3) سورة الذاريات، آية 55.



الأولى: أن يقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه.  
والثانية: أن يقول: قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.  
3-نزل هذا القرآن باللفظ العربي المبين:

قال سبحانه وتعالى: "نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين"<sup>(1)</sup>، وتتوه الباحثة بأن ترجمة القرآن الكريم بلغات متعددة تعد وسيلة ضرورية لانتشاره وإتاحة تلاوته وحفظه لكل شعوب العالم لكنه لا يسمى قرآنا مهما بلغت دقة الترجمة؛ وبالتالي لا تصح الصلاة بترجمة القرآن الكريم، أيضا تفسير القرآن لا يعد قرآنا مهما كان التفسير مطابقا للألفاظ القرآنية في دلالتها؛ ففهم المرء للقرآن متفاوت يحتمل الصواب والخطأ كما أن ألفاظ القرآن أنزل من عند الله تعالى فلا يقوم غيرها مقامها.

#### 4-القرآن قطعي الثبوت:

نقل القرآن إلينا وإلى من قبلنا بالتواتر لفظا (أي: مشافهة) وكتابة من وقت نزوله على الرسول الكريم إلى وقتنا هذا، ثم من بعدنا إلى أن تقوم الساعة؛ وهذا التواتر جعله قطعي الثبوت، يرويه الخلف عن السلف بالكيفية المروية عن رسوله، وأنه بفضلته ورحمته وفق له في كل عصر حفاظا متفقيين جمعوه في صدورهم، وعمرؤا به ليلهم ونهارهم.

بناء على هذا فالقراءة غير المتواترة لا تعتبر قرآنا؛ فلا تصح الصلاة بها ولا يتعبد بتلاوتها.

وقد مثل لها الفقهاء بما قرأه عبد الله بن مسعود من قوله تعالى: "فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام"<sup>(2)</sup>، "متتابعات" بزيادة لفظ متتابعات، وقد حملت هذه القراءة على أنها تفسير للثلاثة أيام على رأي ابن مسعود، كذلك ورد في قوله تعالى: "وعلى الوارث مثل ذلك"<sup>(3)</sup> فقد زاد عبد الله بن مسعود في قراءته "ذي الرحم المحرم" بعد قوله تعالى: "الوارث".

#### 5-قد تكفل الله -سبحانه وتعالى- بحفظه:

من خصوصية النص القرآني أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بحفظه من وقت نزوله إلى يوم الدين، قال تعالى: "إنا نحن نزلنا

(1) سورة الشعراء، آية 193.

(2) سورة المائدة، آية 89.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، دار الكتب العلمية، ص84.

الذكر وإنما له لحافظون<sup>(1)</sup>، فالقرآن كتاب حق وصدق مطلق ومن المستحيل أن يتخلله أي كذب أو تحريف أو مغالطات لسوره أو آية من آياته، كذلك لا يتخلله زيادة أو نقصان سواء بقصد أم بدون قصد، فكل ما جاء به من أخبار الأنبياء والرسل والأمم السابقة والقصص حق وصدق، قال تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"<sup>(2)</sup>.

6-النص القرآني هو المعجزة الكبرى التي أيد الله تعالى بها نبيه:

كل ما جاء في القرآن الكريم هو تأكيد لرسول الله سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وسلوان له من أي أذى تعرض له وقت البعثة وبعدها، كذلك في الحروب، والإسراء والمعراج، .. وكل شئون الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

7-النص القرآني أرسل للناس أجمعين:

تميز النص القرآني كذلك بأنه لعامة الناس كافة لا لفئة معينة كغيره من الكتب السماوية، فهو آخر الكتب السماوية التي أنزلت لهداية الناس جميعاً وأفضلها وأوفاهما بحاجة البشرية، وأجمعها للخير، وأبقاها على الدهر، وأعمها وأتمها وأوضحها في هداية كافة الناس إلى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم.

8-تميزالنص القرآني عن الكتب السماوية الأخرى:

كان ولا زال النص القرآني قريب من القلب سهل على اللسان؛ لذلك يسهل على الإنسان حفظه عبر الأجيال على خلاف الكتب السماوية الأخرى، وهو ما ميز الله به القرآن عن باقي الكتب الأخرى: الصحف، والزبور، والتوراة، والإنجيل.

9-النص القرآني ليس مجرد كتاب بل نهج حياة ينظم حياة المسلم الحق؛ فالقرآن لم يترك أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا وقد أوضحها وصورها خير تصوير، كذلك كل أمور الإنسان ناقشها ووضع لها حدوداً، أيضاً لم يترك جانباً إلا وتطرق له مبيناً الحكم الشرعي فيه، وهو أيضاً كتاب بشير ونذير في آن واحد؛ فهو يحوي آيات تبشر بالجنة ونعيمها كذلك تنذر الكافرين بأن لهم عذاب أليم، قال تعالى: "إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم"<sup>(3)</sup>.

فمنذ نزول القرآن إلى يوم القيامة لا يبحث الإنسان عن أي أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا وجده فيه بوسائل وبطرق شتى يستوعبها ويدركها جميعاً، قال الدكتور/ محمد طنطاوي: "وقد

(1) سورة الحجر، آية 9.

(2) سورة البقرة، آية 2.

(3) سورة الانفطار، آيتان 13، 14.

أودع الله في هذا الكتاب من العقائد السليمة، والعبادات القويمة، والأحكام الجليلة، والآداب الفاضلة، والعظات البليغة، والتوجيهات الحكيمة،.. ما به قوام الملة الكاملة، والأمة الفاضلة، والجماعة الراشدة، والفرد السليم في عقيدته وسلوكه وفي كل شئونه<sup>(1)</sup>، ومن تمسك به فقد هدي إلى صراط مستقيم، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-"<sup>(2)</sup>.

كذلك القرآن مليئٌ بضرب الأمثال، وصور خلق الله للإنسان وكيف صنعه؟ كما تكثر فيه المقارنات بين الجنة والنار، ولو طبقنا طرق التعليم الحديثة المعاصرة واستراتيجيات التعلم لوجدنا أن القرآن طبقها قبل أن يتوصل الإنسان إليها فهي تعد من دلائل إعجازه وتحديه للبشر إلى يوم القيامة.

#### 10- إعجاز لفظه وشمول معناه:

القرآن يمثل أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان، وقد قال الدكتور/ محمد مختار جمعة -وزير الأوقاف- في مقدمة لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأوردية التي قام بها الدكتور/ أحمد محمد أحمد عبد الرحمن -أستاذ بكلية اللغات والترجمة؛ جامعة الأزهر-: "وهو أعلى درجات البلاغة والفصاحة والبيان، يتدفق الإعجاز من جميع جوانبه تدفقاً لا شاطئ له، فهو الذي يهجم عليك الحسن منه دفعة واحدة فلا تدري أجاءك الحسن من جهة لفظه أم من جهة معناه، إذ لا تكاد الألفاظ تصل إلى الأذان حتى تكون المعاني قد وصلت إلى القلوب".

#### 11- من أعظم وأجل خصوصية النص القرآني كونه يتقرب به الناس إلى خالقهم:

وهو جد أمر عظيم وجليل حيث أن الإنسان بتلاوته للقرآن، وحفظه، وتدبره، والعمل بتشريعاته وآدابه وتوجيهاته ينال الأجر العظيم والثواب الكبير من الله -سبحانه وتعالى- فقد روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف، وميم حرف، ولام حرف"<sup>(3)</sup>.

(1) محمد طنطاوي، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، مج 1، ص 6.

(2) يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: وزارة الأوقاف، ط 2، رقم: 1661، ص 331.

(3) أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، رقم: 3075، ج 4، ص 248.

وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"<sup>(1)</sup>، وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة(وهي: ثمرة حلوة الطعم، طيبة الرائحة، جميلة اللون، تشبه النفاحة) ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر"<sup>(2)</sup>.

فيجب على المسلم أن يتصل بالقرآن تعلمًا وتعليمًا، دراسة أو تفسيرًا أو تجويدًا أو قراءة لما وعد الله به أهل القرآن من جزيل الأجر والثواب، فقد روي عن شعبة وهشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه -قال هشام- وهو شديد عليه -قال شعبة- وهو عليه شاق فله أجران"<sup>(3)</sup>.

وزيادة في الفضل والمنة ما رواه الترمذي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يقول الله تعالى من شغله القرآن وذكرني عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين"<sup>(4)</sup>، كما قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا القرآن مادية الله؛ فتعلموا من ماديته ما استطعتم"<sup>(5)</sup>.

12-لفضائل النص القرآني وخصوصيته قيض الله -سبحانه وتعالى- رجالاً قضوا معظم أيام حياتهم في خدمة ودراسة القرآن وعلومه؛ فنجد منهم من كتب في إعجازه وبلاغته، ومنهم من كتب في قصصه وأخباره، ومنهم من كتب في أسباب نزوله، ومنهم من كتب في قراءاته ورسومه، ومنهم من كتب في محكمه ومتشابهه، ومنهم من كتب في ناسخه ومنسوخه، ومنهم من كتب في مكيه ومدنيه، ومنهم من كتب في غريب ألفاظه،.. إلى غير ذلك من ألوان علومه.

فالعلماء الأجلاء المشتغلين بعلوم القرآن -وهم كثر- بينوا للعامة مكانة ومنزلة أهل القرآن، وفضائل القرآن، وقاموا بالترغيب فيه، وفضل طالبه، وقارئه، ومستمعه، والعامل به،

(1) الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، ج4، ص426.

(2) محمد طنطاوي، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، مج1، ص7، 8.

(3) الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، ج4، رقم:3068، ص244.

(4) محمد طنطاوي، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، مج1، ص7.

(5) نفسه.

وكيفية تلاوته، كذلك وضحو لنا تحذير الرسول لأمته تحذيرا شديدا من نسيانهم القرآن، فقد روى الشيخان عن أبي موسى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "تعاهدوا القرآن، فو الذي نفسي بيده لهو أشد تقصيا (أي: نفلتا) من الإبل في عقلها(1)".

كما روى الترمذي وأبو داود عن أنس بن مالك عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "عرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها(2)".

ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم هو كتاب الله المقروء، والكون هو كتاب الله المنظور، وبالرغم من أن كلمة (الكون) غير واردة في القرآن الكريم إلا أن مرادفاتها، مثل: السماء، والسموات،.. وغيرهما مذكورة في أكثر من سورة بشكل يفسر الدقة والحساب والمحتوى سواء المادي أو الحسي أو الروحي، كما ذكرها المولى -عز وجل- بشكل متلازم، مثل: (الشمس والقمر)، و(السموات والأرض)، و(الليل والنهار)، و(الشمس والقمر والنجوم)..

ومن إعجاز النص القرآني الذي لا نستطيع مهما أوتينا من قوة ووسائل معرفية أن نحصرها: (الكون)، حينما نتأمل الظواهر الكونية العجيبة ترتسم في أذهاننا عمليا وعلميا مئات الصور التي تشد العقل إلى العلم من جهة وإلى النص القرآني من جهة أخرى، ولكن ليس من منطلق المقابلة التفسيرية المجردة أو المكافأة التأويلية المرجحة فحسب بل على أساس تحديد العلاقة بين الثابت والمتغير في الشكل والجوهر ثم في الشكل إزاء الجوهر، فالنص القرآني يحمل مزية تلاقي الشكل بالجوهر من حيث ظواهر الإعجاز: في اللغة، في البيان، في الأرقام، في العلوم، في الطب، في التكنولوجيا، في خلق الكائن الحي، في الكون ومحتواه،..

### من الخصوصية السياقية والمعجزة الربانية "الحبك" أنموذجا:

عندما نتأمل الكون بكل ما فيه ومن فيه نجده مكونا من أشياء مرئية وأخرى غير مرئية، ومن التكوينات الغير مرئية هو ما يربط المكونات ببعضها البعض، وما يربطهم جميعا بالفضاء.

وتشير الدراسات إلى أن الكون المرئي الذي بدأ منذ لحظة الانفجار الكبير (الفتق الكبير) يحتوي على ما يقارب مليار

(1) محمد طنطاوي، تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، مج 1، ص 8.

(2) نفسه.

حشد مجري، وكل حشد مجري يتألف من 100-500 مجرة، والفضاء بين الحشود المجرية وبين المجرات وبين النجوم نفسها مملوءة بالأنسجة الخيطية المكونة من الغازات والأثرية الكونية؛ بمعنى آخر لا وجود -لما زعمه العلماء قديما وحديثا- للفرغ في الكون، فهو محبوك ومملوء بما أطلق عليه علماء الفيزياء حديثا المادة والطاقة، قال تعالى: "والسما ذات الحبك(1)".

وقد وردت هذه الكلمة في معاجم اللغة العربية بمعاني متنوعة، منها: حبك أي شدة وأحكامه، وحبك الثوب أي أجاد صنعه ونسجه، وأحبكه أي أجاد عمله، والمحبوك أي المحكم الخلق والصنعة، والحببكة جمع حبائك وهو الطريق من خصلة الشعر ونحوه، كذلك إحكام صنع النسيج، والتخطيط وعمل خطوط مختلفة اللون في النسيج، والحزام وشده بإحكام حول الخصر، والإتقان بعناية ورشاقة، وشد النسيج أو لف الشيء به كنوع من التغليف، خطوط وتعاريج ترسمها السحب والنجوم في السماء ليتم ربطها فيما بينها وحولها، والتعاريج المتقطعة التي تتركها الرياح على سطح الرمال الممتدة أو على سطح الماء، وخطوط اختلاف درجات اللون على ريش النعام، كذلك نسيج الدرع الصدري من حلقات معدنية رفيعة كان يرتديها المحاربون قديما، وجلوس الملك واحتباك الديوان من حوله، وأيضا عبارة حبكه بالسيف تعني ضرب عنقه.. وجميع هذه الأوصاف يدخل في معناها أساسا (الإحكام، والتماسك، والدقة في العمل (أي إتمام العمل ثم حبكه)، وهو ما ينطبق على آي القرآن الكريم، فرغم أن (الحبك) لم تذكر في النص القرآني إلا مرة واحدة لكنها موجودة فعليا في كل آي القرآن الكريم المعجز.

ولو تأملنا المعاني المتعددة لكلمة (الحبك) لخرجنا منها بأنها تتضمن المعنى الأساسي، وهو إحكام الصنعة وإتقانها وحسن تدبيره عز وجل، فقد قال ابن الأعرابي: "إن كل شيء قد أحكمته وأحسنه عمله فقد احتبكته(2)".

وقد ذكرها المولى عز وجل في النص القرآني ليدعونا إلى فهم النص القرآني وتدبره وتأمل ما فيه، وعند التأمل في كلمة (الحبك) القرآنية لانتقلنا إلى مجال الغيب العلمي وكل ما هو مغيب عنا ولم ندركه بعد، لكن بالعمل المتواصل والجهد من العلماء المخلصين نستطيع تفسير بعض الظواهر الكونية

(1) سورة الذاريات، آية 7.

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج17، 1405هـ - 1985م،

العجيبة، وما لم يستطيعوا تفسيره فهو يمثل قصور في الفعل الإنساني، أما ما احتفظ الله بعلمه وتفسيره عنده فهو أمره الله إن أراد كشفه لعباده وقتما وكيفما شاء أو إن أراد حجبه ليوم الدين.

ومع تطور العلم توصل علماء الفيزياء إلى معنى (الحبك) فهو ليس الفراغ الذي فسروه العلماء قديما، بل هي أنسجة وخيوط وحقول كهربائية ومغناطيسية تسمى بـ (الطاقات) وهي متعددة دائمة الوجود، كما أنها تتحرك وتتشابك وتتصل فيما بينها وتتجاذب للربط بين مكونات الفضاء؛ فالفراغ غير موجود علميا، وحسب النظرية الكمية فإن شيئا غير محسوب وغير معلل يربط الأشياء المنفصلة فيما بينها وهو ما تفسره الآية الكريمة: "والسماوات ذات الحبك"، كما أن هذه الأنسجة والخيوط تتشابه لكنها لا تتماثل فجميع مخلوقات الله المرئية وغير مرئية تتشابه لكنها لا تتماثل، كبصمة أصابع الإنسان قد تتشابه لكنها لا تتماثل.

ولفظ (الحبك) جاء في القرآن الكريم بصيغة الجمع الذي يفيد أن منه أنواع متعددة ومختلفة؛ بعضهم يمكن رؤيتها بالعين المجهرية، والبعض الآخر لا يمكن رؤيتها فهي من الغيبيات أي أننا لا نراها لكننا نرى نتيجة فعلها، كما أنها تتسم بالأنسجة والأنظمة الممتدة أو المتقطعة، إلا أنها في كل أحوالها وعلى اختلاف أشكالها تتسم بالدقة والإتقان والترابط فيما بينها وما حولها، والالتفاف حول مركز ما أو الانطلاق منه.

وبناء على ما سبق فإن الحبك موجودة في كل شيء؛ فهي موجودة في السماء وفي السماوات، وموجودة بين السماء والأرض، وموجودة بيننا كأفراد، وبين كل جزء من الأعضاء المكونة لجسم الإنسان، كذلك موجودة في كل ما على هذه الأرض، كما هي موجودة بيننا وبين خالقنا عز وجل، فهي النسيج الكلي الذي يجعل دنيانا بل الكون بأسره متماسكا مترابطا موصولا كالبنيان المرصوص، المرفوع على عمد لا نراها، والمتماسك بحبك لا نعرف عنها شيئا تقريبا إلا اليسير الذي يتوصل إليه العلماء.

وقد فسر علماء الغرب أن كل ما نراه في الكون لا يتجاوز 4% من حجمه، والباقي عبارة عن مادة مظلمة تتمثل بنسبة 22% وأيضا طاقة مظلمة تتمثل بنسبة 74%؛ فالطاقات المظلمة لها أشكال مختلفة: طاقة كيميائية، وطاقة كهربائية، وطاقة حرارية، وطاقة الجاذبية، وطاقة الضوء، والطاقة النووية..

هذه المادة المظلمة تنتزع على نسيج محكم أيضا، وأنها هي التي تربط المجرات ببعضها عبر جسور كونية، وهذه الجسور ما هي إلا خيوط وأنسجة وطرق.

وقد ذكر د.حميد مجول النعيمي في كتابه (السماء ذات الحبك: مفاهيم وأسرار فلكية كونية في القرآن الكريم) ما ملخصه: أن هذه الأنسجة والخيوط مكونة من الغازات والأثرية الكونية المولدة للنجوم في الفضاء، ثم تموت هذه النجوم بعناصر ثقيلة وتتحول إلى أقزام بيضاء، أو نجوم نيوترونية، أو ثقوب سوداء حسب كتلة النجم، وهذه الأجرام السماوية وبسبب جاذبيتها الكبرى فإن القريب من بعضه البعض يتصادم ويتجاذب، ثم تآكل وتبتلع المواد التي حولها فتتحول إلى ثقوب سوداء كبيرة وذلك يزيد من كثافة الكون، فإذا زادت كثافة الوزن وأصبحت أكبر من الكثافة الحرجة فإن الكون يصل إلى أقصى حجم له، ويتوقف عن التسارع والتمدد، ثم يعود إلى الانكماش والتقلص وحينئذ إلى الانسحاق والتكدس، ثم يتكاثف ويسخن مرة أخرى ليعود إلى ما كان عليه سابقا، وهذا ما يسمى بالانكماش والتكدس أو الانسحاق الكبير، وهو ما ذكر في النص القرآني بـ (الرتق)، أي إعادة الكون إلى ما كان عليه سابقا قبل الفتق، وهو ما تتبأ به العلماء عند نهاية الكون، فقد قال الله عز وجل: "يوم نطوي السماء كطي السجل في الصحف كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين<sup>(1)</sup>"، وعمليتي الفتق والرتق ذكرهما الله عز وجل في النص القرآني، قال تعالى: "أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون<sup>(2)</sup>".

والحكك موجودة حولنا ومن بيننا في كل شيء؛ في الفلك وما به من سماوات سبع، والسماء الدنيا، والأرض، كذلك بين جزينات الماء، والعرش، والكرسي، وكل ما يربطنا بخالقنا عز وجل، أما **الحبيكة الكبرى** فهي النص القرآني؛ كتاب الله عز وجل التي أسس بها وعليها السماوات والأرض، وتفرعت منها العمدة التي ترفع السماوات ولا نراها، وتتنوع الحبك وتتشعب؛ فالنص القرآني سبق كل المخلوقات حتى أنه كان موجودا قبل السماوات والأرض، قال تعالى: "إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض<sup>(3)</sup>"، وكذلك في ترتيبه سبحانه للخلق ذكر:

(1) سورة الأنبياء، آية 104.

(2) نفسها، آية 30.

(3) سورة التوبة، آية 36.

"الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان<sup>(1)</sup>".



وانطلاقاً من قول المولى عز وجل: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد"<sup>(2)</sup> نضرب صوراً للحبك المتنوعة في هذه الآفاق السبعة فلكل سماء أفقها الخاص بها، وكذلك تتنوع الحبك في النفس البشرية، ولنبدأ من أول خلق الخلائق ثم ما يليها كما أوردها الله في كتابه العزيز:

## 1- في الآفاق:

### تكوين السماوات والأرض:

خلق الله السماوات والأرض وقد كانتا رتقا ففتق الله كتلة السماوات عن كتلة الأرض أولاً، وخلق السماوات السبع والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء، ثم خلق الأرض في يومين والسماوات في أربعة، فسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يغشي الليل النهار والشمس والقمر والنجوم كذلك، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فهو القادر يخرج الخبأ في السماوات والأرض كما يعلم ما نخفي وما نعلن، ويدبر الأمر، ويفصل الآيات لعلنا نوقن بقاء ربنا، والنص القرآني مليء بالشواهد على ذلك وكأننا حضرنا بداية الخلق، قال تعالى: "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين"<sup>(3)</sup>، وقال جل شأنه: "إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون"<sup>(4)</sup>.

ففي الآيات السابقة ذكر الله لنا كيف بدأ الخلق؟ وعلى مدار الآيات يتضح لنا الحبك وأهميتها ووجودها بين المخلوقات وبعضها البعض، وترابطهم جميعاً بالخالق عز وجل، فالسماوات مرفوعة بغير أعمدة أو دعائم نراها؛ لذلك حدد الله كلمة (الحبك) لأنها ترفع السماوات وتمسكها كالبنيان المرصوص، كما بين لنا أن الليل يسعى بهمة للحاق بالنهار، وهي الدورة اليومية أو الحبيكة من الحباتك الدوارة، وأن الشمس والقمر والنجوم مسخرة بأمره لأداء عملها.

(1) سورة الرحمن، آيات 1: 4.

(2) سورة فصلت، آية 53.

(3) سورة الأعراف، آية 54.

(4) سورة يونس، آية 3.

كذلك يدبر الله عز وجل الأمر، وأن الشفاعة بإذنه وعلينا عبادته وحده لا شريك له، وهو يعد نوع من أنواع الحبك المباشرة أو ذات الخطوط المستقيمة بيننا وبين الله سبحانه وتعالى، وكل هذه الجزئيات تبدو قائمة على حبك متقطعة داخل حبك أكبر وأوسع.

فالله سبحانه وتعالى جعل في الأرض رواسي من فوقها؛ هي جبال شامخة أثبت سطحها كي لا تميد بنا، وجعل بين هذه الجبال طرقات، وكذلك قدر فيها أقواتها في أربعة أيام، ثم استوى إلى السماء وهي دخان، وجعل السماء الدنيا هي الأقرب إلى الأرض سقفا محفوظا، والسقف: هو كل ما يمنع رؤية ما فوقه، أي أنه يرمز إلى الحد الأقصى في ارتفاع شيء ما، وكل سماء لها سقف يحجبها عن السماء التي فوقها، وجميعهم مترابطين متماسكين بأنواع متعددة من الحبك.

### المعارج:

وبعد بيان الله عز وجل لنا بداية الخلق وضح لنا شمول علمه بما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها اعتمادا على حبك ممتدة بين السماء والأرض، ومفهوم العروج هو الارتفاع في خط منحنى، وهذا الانحناء دليل على كروية السماوات والأرض في إطارها العام ما نعرفه عنها وما نجهله، قال تعالى: "يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل"<sup>(1)</sup>.

فهذه الآيات وغيرها تكشف لنا عن مختلف أنواع الحبك التي تصلنا بالله عز وجل من جهة، كذلك تصل كل المخلوقات بهذا الكون بعضها ببعض من جهة أخرى.

وبالرغم من أن كلمة (الحبك) لم ترد في النص القرآني إلا مرة واحدة غير أنها ترمز إلى كل ما يربط مكونات الكون والدنيا بعضها ببعض، بما بها وما عليها، ويربط بين السماء والأرض، بل ويربط بين كل ما فيها من مخلوقات وكائنات بالسموات السبع وما بعده.

### العرش:

لا يخفى علينا أن كلمة (العرش) تحمل معنيين كلاهما ذكر في النص القرآني؛ أحدهما: المعنى الدنيوي المعروف وهو ما يجلس عليه ملك من ملوك الدنيا وتبعيات هذا السلطان والجاه وقد ورد ذلك في القرآن إشارة إلى ملكة سبأ وإلى سيدنا يوسف -عليه

(1) سورة الزمر، آية 5.

السلام-، والثانية: عرش الملك القهار خالق هذا الكون ومدبر أمره في مثل قوله تعالى: "إن ريكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش"<sup>(1)</sup>، ثم يأتي يوم القيامة حيث تكون الأرض جميعها في قبضة رب العالمين، والسماوات مطويات بيمينه، وتتوالى الأحداث المتعلقة بالحساب والجنة والنار، وفي هذا المشهد نرى: "وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين"<sup>(2)</sup>.

فالملائكة ليست وحدها التي تدور حول العرش فهناك من يحملونه معهم، وكلاهما: "الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم"<sup>(3)</sup>، وجميعهم يدورون في حبك دوارة كالرحاه، ففي ذلك اليوم الذي ستدك فيه الأرض والجبال وتتشق السماء وهي واهية يوم العرض، وسيكون الملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية كما وردت في سورة الحاقة من آية 13 إلى 18.

#### الكروسي:

وردت في النص القرآني بمعنيين؛ أحدهما: المعنى المعنوي كما ذكر الله تبارك وتعالى: "ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب"<sup>(4)</sup>، أما المعنى الآخر: متمثل في آية الكروسي الواردة في سورة البقرة آية 255، ولو تأملناها لرأينا أن كل مقطع بها يعود إلى الله عز وجل وإلى أحد صفاته: (الحي، والقيوم، والعلي، والعظيم)، وكأنها حباتك متداخلة مترابطة تربط بين رب العزة وبعض أهم صفاته.

والكروسي بالنسبة للسماوات والأرض كالحلقة في أرض فلاة، وكلها مظاهر كونية خلقها الله عز وجل وربط بينهم بحبيكة كبرى تصلهم ببعض.

كما أننا لو تأملنا كذلك مقاطع آية الكروسي نراها موزعة عبر النص القرآني وكأنها دعامات له تمتد كالحبك المتينة

(1) سورة الأعراف، آية 54.

(2) سورة الزمر، آية 75.

(3) سورة غافر، آية 7.

(4) سورة ص، آية 34.

وتسري في نسيجه لترتبط بين أجزائه، وتعود بنا إلى مكانة الكرسي.

### الماء:

كان العرش على الماء حين خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ليبنتنا أننا أحسن عملاً، فالابتلاء من الله في الشر والخير لاختبار ردود أفعالنا التي سيتم محاسبتها بمقتضاها، وكانت السماوات والأرض ملتصقة ففتقهما وجعل من الماء كل شيء حي، ومن هنا ندرك أن الماء مرتبط ارتباطاً شديداً بالحياة وأنه لا حياة على الأرض بدون الماء، وكأنه حبيكة من الحبك الأساسية التي تربط بين السماوات والأرض.

فكل حياة على الأرض تبدأ بالماء، فالماء هو القاسم المشترك الأعظم الذي يربط كافة المخلوقات والكائنات وكأنه نوع آخر من الحبك كالتي في السماء.

وتبدو أهمية الماء إذا تأملنا المساحة التي تغطيها نسبة الماء من الكرة الأرضية فنسبتها 70% من الكرة الأرضية، و70% من جسم الإنسان، كما أن قطرة الماء الواحدة تحتوي على ملايين الجزيئات كل جزيئة تحتوي على ذرتين هيدروجين وذرة أكسجين، وهذا الأخير غاز يساعد على الاشتعال ويكوّن حوالي 20% من الهواء الجوي، وهو ضروري لتنفس الكائنات الحية، ويدخل في التركيب العضوي لجميع الأحياء مع الهيدروجين والكربون، وكأنها حبك أخرى تربط فيما بينها.

فالماء بمختلف أنواعه ووظائفه وتداخله يمثل نوع من الترابط المتناسك بين جميع المخلوقات الحية وغير الحية، أي أنه أشبه ما يكون بالحبك التي تربط وتمسكها بإحكام فتبدو كأنها حبال الله التي يعتصم بها كافة مخلوقاته بما في ذاتها وفيما بين أجزائها ومع ما حولها، فالكون عبارة عن بناء واحد شديد متماسك امتداداً بفضل مختلف أنواع هذه الحبك المتعددة التكوين والشكل واللون لكنها في ترابط تام، فقد قال تعالى: "والسماوات بنيناها بأيدينا وإنا لموسعون<sup>(1)</sup>"؛ لأن البناء محدود بالحيز الذي بني فيه ولا يمكن توسعته أفقياً إلا بالهدم وهذا محال، وبالتالي لا تكون التوسعة إلا امتداداً بفضل الحبك التي تربطها بغير عمد مرئية.

(1)سورة الذاريات، آية 47.

والماء مسخر من الله سبحانه وتعالى لخدمة الإنسان وتنمية الزراعة للحياة الدنيا، وأحياناً أخرى لمعاقبة المجرمين الذين لم يؤمنوا به وبما أنزله لتثبيت رسالة توحيد الله، فقد وصل بهم درجة الكفر والعناد بأن طلبوا بكل تحد: "وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>(1)</sup>"، فما كان من الله عز وجل إلا ما ذكره في محكمه: "فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ<sup>(2)</sup>"، وقوله: "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ<sup>(3)</sup>"، وقوله جل في علاه: "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ مَسُومَةٍ عِنْدَ رَيْكٍ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبْعِيْدٍ<sup>(4)</sup>".

ويبدو لنا الدور الهام والضروري للحبك التي تربط جزيئات الماء فيما بينها كما تربطها بما حولها حتى لا ينهار الكون بكل ما فيه، فعلى سبيل المثال: لولا الحبك التي تربط جبال البرد في السماء لسقط كله وانهار الكون، خاصة أنه متفاوت الحجم من الحبة الصغيرة إلى حجم بيضة الدجاج أحياناً، ويتشكل في الغيوم الركامية أثناء العواصف الرعدية نتيجة تجمد قطرات المطر التي تشكل نواة لحبة البرد، فتتمو عليها طبقات من الجليد فتصبح جبال من برد في السماء، لكن الله أمسكها وأحكمها بفضل الحبك فيصيب بها من يشاء؛ فتهلك الزروع والأموال، ويصرفه عن يشاء فلا يضره بحكمته وفضله.

يقول العلماء عن حبة البرد: تحتاج إلى آلاف الملايين من قطيرات الماء الصغيرة لتلتف حول نفسها بنظام مبهر حتى تتشكل حبة البرد الصغيرة، وأحياناً إذا كانت الظروف مناسبة ودرجة الحرارة مناسبة فإن هذه الذرات من بخار الماء تتجمع وتتكاثر وتلتف وتتقلب هذه الحبة وكلما تقلبت تجتمع حولها كمية أكبر من الثلج حتى تتشكل حبات برد عملاقة، وهذا النظام المبهر هو حبيكة من الخبائك التي تربط قطيرات الماء بعضها ببعض.

### الغيب:

ذكرت هذه الكلمة بالمفرد، قال تعالى: "وعنده مفاتيح الغيب

(1) سورة الأنفال، آية 32.

(2) سورة الأعراف، آية 84.

(3) سورة الشعراء، آية 173.

(4) سورة هود، آيتان 82، 83.

لا يعلمها إلا هو<sup>(1)</sup> كما جاءت بصيغة الجمع، قال تعالى: "وأن الله علام الغيوب"<sup>(2)</sup>؛ للتأكيد بأن هناك أكثر من مجال للغيب ولتأكيد شمولية المعنى؛ فإله سبحانه عليم بالسموات السبع وبالأرض وما فيهما ومن فيهما، وعليم بالصدور وقلوب العباد، وعليم بكل شيء، فإليه يرجع الأمر كله.

على سبيل المثال: تقتزن كلمة "الغيب" في النص القرآني بالإيمان بالله وحده وعدم الشرك بالله فكأنها حبيكة من الحبك التي تربطنا بالله، قال تعالى: "وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب"<sup>(3)</sup>.

كذلك تقتزن كلمة "الغيب" بإقامة الصلاة وكأن الصلاة حبيكة من الحبك التي تربطنا بالله، قال تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون"<sup>(4)</sup>، وقال: "إنما تتذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة"<sup>(5)</sup>؛ فالصلاة والتعبد والتمسك بتعاليم الله وعدم الشرك به كالحبك التي تصلنا به والتمسك بكل ما أوصانا الله به عز وجل.

#### بين السماء والأرض:

بين السماء والأرض حوار ممتد محكم بالحبك المتنوعة والمختلفة بين كل ما في الكون وأجزائه، فلا ولن يتوقف إلا إذا السماء انشقت وانفطرت، وإذا الكواكب انتشرت، وإذا الشمس كورت، وإذا التجوم طمست وانكدرت، وإذا الجبال سيرت فكانت سرايا، وإذا البحار فجرت، وإذا الأرض ألفت ما فيها حتى القبور تبعثرت، فإلى ذلك الحين إن كل ما أبدعه الله وأحكم صنعه وأحبكه تحبيكا وسخره لخدمة الإنسان فهو باق حيث هو وكيفما خلقه المولى عز وجل.

وتعد مساحة الغلاف الجوي أي ما نراه بالعين المجردة -كالمسرح المكشوف- تسمح لنا بمتابعة ما يدور بها من بعض الظواهر التي تعيننا بالعين المجردة، وذلك ك: النجوم، والرياح، والبرق، والمطر، والظلام المرتبط بالليل والقمر،

(1) سورة الأنعام، آية 59.

(2) سورة التوبة، آية 78.

(3) سورة المائدة، آية 116.

(4) سورة البقرة، آية 3.

(5) سورة فاطر، آية 18.

والنور المرتبط بالنهار والشمس، والماء، كذلك الزمن وارتباطه بما سبق ذكره، كلها أمور مرتبطة فيما بينها وبما حولها بالحبك الشديدة التماسك، والحبكة كما خلقها الله عز وجل، وكما أقسم بها، وسخرة لتيسير حياة الإنسان ولخدمته.

وتماشيا مع القانون الإلهي (يخرجهم من الظلمات إلى النور)، فإن أول ما يلاحظه الإنسان على صفحة السماء ليلا، هي: "النجوم" التي يهتدي بها الإنسان ليعرف اتجاهه إضافة إلى القمر وفقا لمراحل مسيرته، وما يؤكد على أهمية النجوم قسم الله بالنجوم ومواقعها، فأقسم بالنجم الطارق: "والسما والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب<sup>(1)</sup>"، ذلك النجم الثاقب المتفرد بين النجوم، فهو أكبر من الشمس بعدة أضعاف، ويتشكل نتيجة انفجار النجوم فعندما انفجر هذا النجم وبتهاوى على نفسه تتحول مادته إلى نيوترونات. ويقول علماء ناسا: أن هذه النجوم ثقيلة جدا، وأن جزء منها بحجم قطعة السكر تزن مائة مليون طن أي وزن جبل من الجبال، فلنا أن نتخيل حجم الحبك التي تحمل مثل هذا النجم، أو نتخيل ماذا سيحدث لو أن أحد هذه النجوم الثاقبة قد سقط على الأرض؟! فلولا تلك الحبك التي أشار الله إلى وجودها بقوله: "والسما ذات الحبك"، والمحسوسة في كل ما حولنا، والتي أقسم بها المولى وبمكانتها وقدرتها الفائقة؛ لهوت هذه النجوم على الأرض بحكم وزنها المهول.

فالكون مليئ بالمادة المظلمة التي ذكرناها سابقا، وتخترق هذه المادة خيوط دقيقة جدا، تلتقي بعضها ببعض في أماكن تشبه العقد، كما أن شكل هذه الخيوط تشبه النسيج. كما أقسم الله تعالى بالبروج، قال: "والسما ذات البروج"، بمعنى السما ذات المنازل التي تمر بها الشمس والقمر، وقد قال ابن جرير في ذلك: أنها اثنا عشر، وقد زينها الله تبارك وتعالى للناظرين وحفظا من كل شيطان رجيم، ومرة واحدة تأتي منعوتة بـ "المشيذة"، بمعنى: الحصون، وهي رغم ذلك لن تحمي أي إنسان من الموت.

أيضا "الرياح" فالله سبحانه وتعالى يرسل الرياح في السما فتثير سحابا كيفما شاء، فدور الرياح متعلقة بحياة الإنسان كما أنها تقوم بأدوار مختلفة لخدمة الإنسان وبيان قدرة خالق الكون، قال تعالى: "الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السما كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله

(1) سورة الطارق، آيات 1: 3.

فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون<sup>(1)</sup>، وأحياناً أخرى يرسلها لواقع تنزل من السماء ماء، وأحياناً ثالثة تتحكم الرياح في سير الفلك على سطح الماء فتسير الجوار في البحر كالأعلام، كما سخرها لسيدنا سليمان غدوها شهر ورواحها شهر، بل سخرها له تجري بأمره حيث أصابت، وإذا أراد لها المولى أن تسكن فتتوقف حركة ما كانت تدفعه.

إذن الرياح مسخرة بأمره بين السماء والأرض وهي متعددة الأنواع، فمنها: الريح العقيم، والريح الصرصر العاتية التي تحول ما تعترية من محاصيل إلى حطام، وخاصة تلك التي تصيب به الظالمين في العديد من الحضارات إذ تحولهم إلى أعجاز نخل

خاوية، وهناك ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شيء بأمر ربها، وريح عاصف تعوي أينما وكيفما يوجهها سبحانه، أما أجمل تعبير ذكره رب العزة للرياح، قوله: "وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلمكم تذكرون"<sup>(2)</sup>، وهناك الرياح التي يوجهها الله للذين كفروا وللمشركين في قوله تعالى: "مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد"<sup>(3)</sup>، وسواء أكانت الرياح في حركة أو ساكنة فلولا الحبك التي تتحكم في حركاتها وسكناتها لاختلف الوضع واختلفت الحياة على كوكب الأرض.

كذلك قد أرسل الله "الرياح" لتأييد جنود المسلمين وهي هنا تلعب دورا هاما لا يضاويه دور، قال الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا"<sup>(4)</sup>، هنا تبدو المعجزة المزدوجة بوضوح حيث أرسل الله ريحا تهاجم الجنود المهاجمة للمسلمين؛ لتعوق حركاتهم وتصرفاتهم، وأرسل في نفس الوقت جنودا من الأرواح المجنودة؛ لتعاون المسلمين في دفاعها عن الإسلام وصد هجوم الأعداء، قال الله تعالى في ذلك: "وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين"<sup>(5)</sup>، خلاصة القول مما سبق: "وما يعلم جنود ربك إلا هو"<sup>(6)</sup>.

(1) سورة الروم، آية 48.

(2) سورة الأعراف، آية 57.

(3) سورة إبراهيم، آية 18.

(4) سورة الأحزاب، آية 9.

(5) سورة يس، آية 28.

(6) سورة المدثر، آية 31.



لقد بدأ الله تعالى بخلق السماوات قبل الأرض، وكانت الظلمات قبل النور، مثلما خلق الموت قبل الحياة، ف "الظلمات" كانت تعم الكون في قانون رب العزة، ولا بد من الخروج منها؛ فلا يمكننا العيش في ظلام دامس مدى الحياة، كما لا يمكننا العيش في نور ساطع إلى ما لا نهاية.

وللظلمات أشكال وأنواع يتعاقبه دوما الخروج والنور سواء كان هذا الخروج ماديا أم معنويا، ومن أشكاله: ما يوجد عند انسلاخ النهار من الليل، وعملية الانسلاخ هنا مجازية لنذكر رهاقتها فهي تتضمن بطء الحركة التي تتم بها عملية السلخ ونعومتها؛ لاستخراج النور من الظلام برهافة لا نشعر معها بفرق تدرجاتها، وهي أشبه ما تكون بعملية السلخ الحقيقية التي تعتمد على ضربات مقتضبة شديدة الحرص والإحكام؛ فكلاهما حركات متواصلة متقطعة أشبه ما تكون بتلك الحبك المتقطعة التي ترسم على سطح الرمال أو سطح البحر الهادئ غير أنها تحمل في طياتها مولد الإصباح.

ومن أشكال الظلمات: "الصيب" من السماء، فكأن الأمطار والسيول التي تحجب الرؤية حبك تربط السماء بالأرض، وتذكرنا بأن الله سبحانه وتعالى قد خلق من الماء كل شيء حي، كما أن نزول الماء من السماء مصحوبا بالظلمات وفيه رعد وبرق يشير من جهة أخرى إلى أن من في الظلمات -وخاصة المعنوية منها- لا يسمع ولا يرى بل وليس بخارج منها إلا لو غير مكانه أو فكره.

وهناك ظلمات البحر اللجي التي تتراكم فيه الأمواج طباقا بعضها فوق بعض ويعلوها السحاب، وقد تم مؤخرا اكتشاف وجود أمواج في أعماق المحيطات، وهذه الأمواج المتراسة في أعماق البحار يعلوها السحاب الذي يعلوه النور.

ومن أوضح الظلمات وأبرزها للإنسان: ظلمة الليل وظلامه، فقد سخر الله الليل بظلامه والقمر؛ لتنظيم حياة الإنسان وجعل الليل سكنا له والنهار للعمل وارتباطهما بالإنسان، فالسكون ضد الحركة، وكل ما هداً فقد سكن كالريح، والمطر، والحر، وجميعها تعتمد على تصرف أو حركة دافعة تحركها لا دخل لنا فيها، ولا سلطان لنا عليها، وإنما جميعها تابعة لقدرة الله عز وجل إلا أنها ترتبط بنا أو يربطها المولى بنا بتلك الحبك المتعددة والمتنوعة التي تملأ ما بين السماء والأرض بمختلف الأنواع والأشكال؛ لتحبك كل صغيرة وكبيرة، وتجعلهم كالبنيان المرصوص، وقد أقسم الله تعالى بها حيث يقول: "والسما ذات الحبك<sup>(1)</sup>". وقد جعل الله الليل ليستكين الإنسان ويهدأ وينام، وتفسير ذلك: أن الإنسان أثناء النوم يجتبي الله الروح فلا تكون متصلة بالجسد إلا عن طريق الحبل الفضلي بلغة الغيب، وهو

ما يماثل الحبل السري الذي يربط الجنين بأمه، وعند اليقظة ترد الروح إلى الجسد إلا تلك التي اختارها الله لتتوفى، وكأنه من الطبيعي أصلاً أن نتوفى بالليل ونحن نيام إلى أن يأذن الله تعالى لها بالعودة إلى الجسم مرة أخرى.

ولو تأملنا النفس البشرية -كما أمرنا الله في محكمه- أثناء النوم نجد أن الجسم يحوي 210 خلية مختلفة غير أجهزة الجسم، والدورات المستقلة ك (الدورة الدموية، والتنفس)، وكل خلية تقوم بعمل محدد؛ لمساعدة العديد من أجهزة الجسم على القيام بوظيفته طوال الأربع وعشرين ساعة على التواصل بلا توقف في حالتها النوم واليقظة؛ لأدركنا معجزة النوم، فالله سبحانه وتعالى خلق كل شيء متماسكا في ذاته ومع ما حوله بفضل تلك الحبكة المحبوكه المحكمة فعلا.

ومن الثابت علمياً أنه أثناء نوم الإنسان تظل جميع أجهزة الجسم بانضباط خارج عن سيطرتنا، وهذا العمل المنضبط المختلف للأجهزة التي يتكون منها الجسم لا قدرة لنا على إيقاف عمله أثناء النوم، كما أننا لا نشعر بعملهم إلا لحظة اليقظة والاستيقاظ من النوم، فنذكر أن الجسم كان يعمل مثلما كان قبل النوم، ولا معنى لكل هذه الدائرة الشديدة الإحكام التي يوضع فيها الجسم قبل النوم إلا أن كل جزء فيه مرتبط بعمله بفضل الحبكة التي نظمها الله تعالى، وسخرها له؛ لتظل تواصل عملها بدقة متناهية بصرف النظر عن حالة الإنسان؛ يقظته، أو نومه.

ونطالع في القرآن ارتباط العبادة بالليل والنهار، فقد أمرنا الله تعالى بالصلاة، والسجود، والتسبيح، وتلاوة القرآن أثناء الليل وأطراف النهار، وقرآن الفجر،.. وغيرها من العبادات لضبط إيقاع حياة المسلم ومسيرته في الدنيا، وكأنها حبكة تعبدية نظمها المولى لتجعل المسلم على طريق الله المستقيم، وتوصله برب العالمين ليلا ونهارا.

(1) سورة الذاريات، آية 7.

كما نطالع في القرآن عدم إفراد الليل والظلمات دون اقترانهما بالنهار والنور، فقد قال الله تعالى: "ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير"<sup>(1)</sup>، فمثلما خلق الله تعالى الظلام وربطه بالليل خلق لنا "النور" وربطه بالنهار، وترتبط كلمة (الشمس) بالنور والنهار مثلما ارتبطت كلمة (القمر) بالظلام والليل؛ فكل ما خلقه الله وأقامه في نظام حدود اليوم مكون من الليل والنهار بكل ما أبدعه من (أجرام، وكواكب، ونجوم) مترابط متماسك بمختلف أنواع الحبك التي أشار إليها الله في الآية: "والسماوات ذات الحبك". آية واحدة كافية لترابط انتباهنا وفكرنا بكيفية تماسك ذلك الكون العجيب المعجز الذي لا يمكن لإنسان أن يحصي كل ما يحتوي عليه ولا كل ما به من أبعاد ومسافات تمتد وتتوسع في رحابه دون أن ينهار أو لا يختل تماسكه وترابطه بفضل تلك الحبك الشديدة المتينة، والتي هي محكمة بدقة فائقة لصالح الإنسان وتيسيرا لمعيشته وإيقاع حياته؛ وذلك اعتمادا على كلمة أخرى، هي: "التسخير"، وكأن المنظومة الكونية كلها ما عدا الإنسان قائمة بكفتين: كفة الحبك، وكفة التسخير.

أما الإنسان في هذه الحياة الدنيا مخير لا مسير؛ لأن الاختيار هو مقياس حياة الإنسان فتتضح استقامته ودوره في الحياة والمقصود من خلقه، فميزه الله عن سائر المخلوقات بالعقل ليختار طريقه في الدنيا، ومن ثم سيحاسب على عمله في الآخرة، مصداقا لقوله عز وجل: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"<sup>(2)</sup>.

ومثلما تتنوع أشكال الحبك وفقا لكل مجال ووفقا لكل غرض منه فإن السخرة كذلك تتنوع لانفتاح الإنسان بكل مخلوقات الله في هذا الكون، وهي نعمة واجبة الشكر من المسلم، قال تعالى: "ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير"<sup>(3)</sup>.

فقد سخر الله لنا الشمس والقمر دائيين، وسخر النجوم والليل والنهار، كما سخر البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولنأكل منه لحما طريا، كما سخر لنا الطير، قال تعالى: "ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو من السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون"<sup>(4)</sup>، وكل ما في السماوات والأرض يجري لأجل

(1)سورة الحج، آية 61.

(2)سورة لزلزلة، يتان 7، 8.

مسمى، فإن عبارة "إلى أجل مسمى" التي ترتبط بكل ما خلق الله تحمل ضمنا معنى نهاية الحياة الدنيا ووجود حياة فيما بعد، بدليل تسخير السماوات لنا عند انتهاء الأجل المسمى وبعد تلك الحياة التي نعيشها على كوكب الأرض.

وتسخير الشمس والقمر دائبين، وجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، وتقديره منازل لم يكن مجرد تسخير وتثبيت الأجرام في أماكنها بفضل الحبك فحسب، وإنما أيضا ليلفت نظرنا لمجال العلوم والرياضيات وتعلم عدد السنين والحساب، فقد سخر الله الكون من أجل الإنسان، وكل هذه الأعمال مرتبطة مترابطة بإحكام الحبك التي تحكم تماسكها وانضباطها.

وعند التأمل في وصف المولى عز وجل لأهل الجنة: "متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهيرا"<sup>(1)</sup>، وقوله أيضا: "مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار"<sup>(2)</sup> نرى أنها عن أشعة الشمس وحرارتها، وأن تحتها تجري أنهارا لا بد وأن تكون من نفس اهتزازات الجنة وأهلها بل ونفس اهتزازات المنطقة التي هم فيها، وذلك ليس بغريب فكل ما خلقه الله سبحانه وتعالى في نطاق كرسية قائم ويؤدي دوره في منظومة الحياة بفضل الحبك التي يحبك بها الله كل ما خلق، فجميع نظم مخلوقاته تتشابه لكنها لا تتماثل حسب القانون الإلهي المحكم.

وبعد فإن كل محتويات الكون ترتبط ارتباطا وثيقا بمقياس "الزمن"، فهو يدخل في كافة التقسيمات التي نعرفها والتي نعيش بمقتضاها، وكأنها الحبك التي تربط الإنسان وإيقاع حياته بالله، وبكل ما أكرمه الله تعالى به في الدنيا والكون كما ذكره الله في النص القرآني.

وكل ما خلقه الله مرتبط بالزمن فقد ورد في النص القرآني -ما ذكرناه سابقا- تحديد مدة خلق السماوات في ستة أيام، قال تعالى: "وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام"<sup>(3)</sup>، وورد كذلك مدة خلقه للأرض في يومين في قوله عز وجل: "قل أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين"<sup>(4)</sup>، وتجهيزها لمعيشة البشر في مدة زمنية مختلفة، كما أن هناك العديد من المستويات الزمنية الأخرى كالיום يساوي خمسون ألف سنة مما تعدون (سورة المعارج)، والعروج إلى رب العزة في يوم مقداره ألف سنة، كذلك

(1) سورة الإنسان، آية 13.

(2) سورة الرعد، آية 35.

(3) سورة هود، آية 7.

ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر أي حوالي ثلاث وثمانين سنة تقريبا. وبالتأمل في النص القرآني نجد أن هناك نوعان من الزمن: زمن متعلق بالدنيا، وزمن متعلق بالآخرة، وكأنهما زمن دنيوي بكل تفاصيله، وزمن غيبي أو أخروي يتم تعريفه لنا إجمالاً في آيات الحساب والجنة والنار.. وقد أقسم الله بالعديد من أجزاء الزمن أو مسمياته ك: العصر، والفجر، والضحي، والليل، كما ذكر مختلف أنواع الزمن الممتد ك: الأمد، والأبد، والدهر، أو الزمن المحدد ك: الأجل، والحين، بل إننا نجد تقسيمات السنة والمسماة كذلك بالحول، والعام في القرآن الكريم، من: شهر، ويوم، أو حتى أجزاء من اليوم، إلا أن كلمة (اليوم) هي أكثر الكلمات الزمانية استخداماً في القرآن على الإطلاق فقد وردت 350 مرة وتصريفاتها 56 مرة، وكأن اليوم بجزأيه من الليل والنهار هو الحبيكة الأساس والوحدة الزمانية أو المقياس الزمني الأساس الذي يضبط إيقاع الحياة على الأرض، ويربط الأرض بما حولها وبالسماء.

إذن الزمن يتداخل في كل جزئيات الكون، فهو جزء لا يتجزأ عن الطبيعة ولا عما خلقه الله، فالزمن يسري في كل سور القرآن الكريم كجريان الدم في جسم الإنسان، فهو الحبيكة الرئيسة المرتبطة بقيمة الإنسان على الأرض، وما فعله بها وعليها، وكأنه عداد يؤكد لنا أن الحياة ما هي إلا مجرد نبضات تذكرنا بأن الزمن عبارة عن دقائق وثوان.

والزمن اسم لقليل من الوقت أو كثيره، وكل شيء قدر له حيناً فهو مؤقت ، والزمن يرتبط بسرعة الحركة، فهو الضلع الرابع للمادة وفقاً للنظرية النسبية -الأبعاد الأربعة في نظرية أينشتاين: الطول والعرض والارتفاع والزمن-، وهناك مقاييس متعددة للزمن مع البشر، وأزمنة مختلفة مع الكواكب، ومع المجموعة الشمسية، ومع الكون ومجراته التي تحتسب أبعادها بالسنوات الضوئية وسرعتها 300.000 كم/الثانية، ومنها نسبية الزمن مع العوالم الأخرى، ومع المخلوقات المختلفة كالأرواح، والملائكة، والجن، والشياطين، وجميعها تتحرك بسرعة يصعب تصورها، وربما كانت بسرعة الضوء أو أكثر؛ لأنهم بلا أجسام مادية ملموسة، فهي أقرب ما تكون لنوعية تلك الأجواء العليا، كما ترتبط بالسهولة في الحركة بالمكان الذي يتواجدون فيه فوق سطح الأرض بمسافات متفاوتة.

ولكي يتضح لنا أهمية المقدار الزمني بالنسبة للكون عامة وللإنسان خاصة نتأمل خلق الله للكون فالسماء تبدأ من فوق سطح الأرض، بما في ذلك: الغلاف الجوي والفضاء الخارجي، وهو أيضاً الكون بما يحويه من مجرات، ونجوم، وكواكب، ومادة مظلمة، وتبدأ حافة الفضاء حيث ينتهي الغلاف الجوي، وقد حدده كارمن (1881-1963) وهو أول من

حسب أنه عند ذلك الارتفاع - عند مائة كيلو مترا من منسوب سطح البحر-، كما أنه يستخدم للتفرقة بين الغلاف الجوي للأرض والفضاء الخارجي، وبعد خط كارمن لا يمكن التحليق فيه لانفصال الغازات عن بعضها البعض، وهو بداية الفضاء رسميا، وله الأجهزة الخاصة التي يمكنها التحليق فيه، وتمتد هذه الطبقات من نحو 800 كم إلى 10.000 كم فوق سطح البحر، وعندها يصبح الغلاف الجوي أكثر رقة كلما ارتفعنا إلى أن يختفي تماما. فالجو لا ينتهي فجأة عند علو معين لكنه يصبح أرق تدريجيا مع الارتفاع إلى أن يتلاشى، وذلك يفسر لنا كيف أن الكائنات التي لا أجسام مادية لها يمكنها التحليق والتحرك أو الارتفاع في الفضاء العلوي بسهولة وبسرعة تقاس بلمح البصر -وهي أقل وحدة زمنية- ؟ وقد ذكر الله تعالى في محكمه هذه الوحدة الزمنية: "أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك"<sup>(1)</sup>؛ لأن تكوينها أساسا من مادة أثرية يسمح لها بالتحرك فيها.

## 2- في الأنفس:

مما أثبتته العلوم الحديثة أننا جميعا متصلون بعضنا ببعض، ومتصلون بكل شيء في الوجود أو في الكون، وإن لم نكن نستخدم كلمة (الحبك) التي أوجز بها الله كل الروابط والاتصال بين كل الأجزاء فيما بين السماوات والأرض، وهذه الروابط تعد طاقات في الوجود، وهذه الطاقات المتعددة والمتنوعة تتصل وتتجاذب فيما بينها، فحين نطلق فكرة فإننا نطلق طاقة في الكون وتتحول إلى جزء من الطاقة المنتشرة، وتتجذب إليها طاقات أخرى على نفس درجة التردد، وهذه الطاقة موجودة وغير مرئية، ولا توجد فواصل تحدها، لكنها تتجاذب مع غيرها حين تكون في نفس صفاتها، فحين تكون الفكرة إيجابية تنعكس على تصرفاتنا، وحركاتنا، وعبارتنا والعكس كذلك، فقد قال الله تعالى: "ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب"<sup>(2)</sup>.

(1) سورة النمل، آية 40.

(2) سورة البقرة، آية 165.

فكل هذه المشاعر المختلفة هي أنواع من الحبك التي تربط فيما بين الناس، وإن كل فكرة خيرة تأتي للإنسان هي تعبير مباشر من الله، وعلى الإنسانية أن تجتاز مرحلة أنها تعتمد على قواها الذهنية أو النفسية فقط، وعليها أن تصل إلى التعبير انطلاقاً من تعاليم الله لنا في النص القرآني؛ ذلك أن شجرة الحياة توجد في أعماقنا، وتتمو بالإتقان والتقدم، وأكبر ثمارها الحب، فهو القوة الدافعة المعطاءة في الوجود، وأكبر طاقة محرّكة للإنسان لأن الحب هو نبض قلب الكون.

والإنسان يرتبط بغيره كما وضحنا بالحبك والروابط المتمثلة في الطاقات الخارجة منه والمتمثلة في الكون من حولنا، كذلك الحبك موجودة داخل جسم الإنسان الواحد تربط بين كل عضو من أعضائه بباقي الأعضاء الأخرى، ومن أهم هذه الأعضاء وأكثرها ذكراً في النص القرآني "القلب" إذ تم ذكره 131 مرة، والقلب هو العضو الأهم في الحفاظ على الوظائف والمعدلات الطبيعية لجسم الإنسان من الناحية الجسدية والنفسية بل في الكفر، فقد تم ذكره في آيات القلب، منها قوله تعالى: "سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مَثْوًى للظالمين<sup>(1)</sup>"، وقوله: "كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين<sup>(2)</sup>"، وقوله عز وجل: "فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً<sup>(3)</sup>". وللقلب أهمية تميزه عن باقي أعضاء جسم الإنسان إذ أنه يقوم بوظائف معرفية كالتدبر، والتفقه، والتعقل، والتذكر، أو وظائف مشاعرية كالرأفة، والرحمة، والقسوة، والغلظة، وصولاً إلى الوظائف الروحية كالإيمان، والتقوى، والهداية، والزيغ، كل هذا بالإضافة إلى وظيفته الجسدية فهو مضخة عضلية تضخ الدم ليلاً ونهاراً منذ بدا القلب يعمل أثناء تخليق الجنين إلى أن يتوقف مع الوفاة.

ومع تقدم العلم يمكننا القول بأن الشبكة العصبية للقلب والتي يطلق عليها (مخ القلب) هي الشبكة الموازية للحبك الواردة في النص القرآني، فهي عبارة عن خيوط وأنسجة وطرق تجمعها عقد على مسافات، وجميعها تتشابه لكنها لا تتماثل مثله

(1) سورة آل عمران، آية 151.

(2) سورة الأعراف، آية 101.

(3) سورة النساء، آية 155.

مثل تفرد بصمة إصبع الإبهام لدى كل إنسان، فالحبك كما ذكرها المولى في كتابه العزيز موجودة في الكون، وفي أنفسنا، قال تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد<sup>(1)</sup>".

والشبكة العصبية تتكون من مجموعة من العقد وتوجد في الطبقة السطحية للقلب، وبنسبة أقل في الدهن المغلف للقلب، وتتكون كل عقدة من خلايا هذه الشبكة العصبية، وهي تشبه مثيلتها في المخ تماما، ويخرج منها ألياف عصبية تتصل بالخلايا الأخرى عن طريق تشابكات عصبية، وهو يسمح لنا بالربط بينها وبين الدور الذي تقوم به الحبك من ربط وتثبيت وإحكام وتواصل بين باقي الأعضاء المكونة للجسم، ومع الكون.

ويرتبط القلب بالمخ بأربع آليات للتواصل بينهما: الآلية العصبية، والآلية الهرمونية، والآلية الدموية، والآلية الكهرومغناطيسية، فالعلاقة بين القلب والعقل علاقة متينة حيث أن القلب يرسل من المعلومات إلى العقل أكثر مما يرسله العقل للقلب؛ لذلك يمكن القول بأن عقل القلب ينشط المراكز العليا للإدراك في عقل الرأس، وهو ما نجده في النص القرآني: "أفلم يسيروا في الأرض فنكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور<sup>(2)</sup>"; لذلك فإله سبحانه سيحاسبنا على القلب كما سيحاسبنا على أقوالنا وأفعالنا مصداقا لقول رسولنا الكريم: "إنما المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه".

كذلك "العقل" الذي قد ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات؛ فدماع الإنسان تتكون من أربعة أقسام: (المخ، والدماغ البيني، والمخيخ، وجذع الدماغ)، وهو عضو معقد للغاية في جسم الإنسان بالرغم من أنه لا يتجاوز وزنه 1.5 كجم.

على سبيل المثال: المخ – وهو يعد الجزء الأكبر من الدماغ – ينقسم إلى نصفين: الأيمن، والأيسر يرتبطان ببعضهما البعض عن طريق حزمة من الألياف العصبية وكأنها الحبك التي تربط النصفين ببعضهما؛ ليؤدي الوظيفة المرجوة منهما معا، كذلك باقي الأجزاء المكونة للدماغ ترتبط وتتماسك ببعضهم عن طريق هذه الحبك التي تظهر لنا قدرة وعظمة الخالق عز وجل، كما تبدو

(1) سورة فصلت، آية 53.

(2) سورة الحج، آية 46.



قيمة العقل وأهميته في النص القرآني من خلال تفعيلاته الواردة في مثل قوله تعالى في القرآن: يوقنون، ويعقلون، ويؤمنون، ويتذكرون، ويعلمون، ويتقون..

خلاصة ما سبق يمكننا القول بأن الله ذكر كلمة (الحبك) في القرآن الكريم في آية واحدة من سورة الذاريات، إلا أنها تمثل نموذجاً شاملاً لمختلف معاني الحبك المحبوبة التي تربط كل ما في الكون بعضه ببعض، وكل ما في النفس البشرية، وارتباط النفس البشرية بالكون؛ لذلك أقسم الله بهذه الأريطة والروابط المحكمة، فأقسم بالشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلاها، والليل إذا يغشاها، وأقسم بالفجر، وكأنه رب العزة يقسم بكل ما خلقه حتى الروابط والحبك التي تربط كل ما في الكون، وأن كل شيء متماسك مترابط، وما أكثر ما أقسم الله به لنقنع ونؤمن بكلامه مثلما أقسم بأن الدين واقع لا محالة، وكل ما أقسم به الله من دلائل قدرته ومعجزاته هو ما يحاول العلم الحديث التوصل إليه، هذه المعلومات إن أراد الله لهم أن يتوصلوا إليها ويعرفوا بعضاً منها فسوف يتوصلون إليه بعد جهد وتعب، أما الباقي فقد اقتصر الله بعلمه على ذاته الإلهية؛ وهو ما يلزمنا بالإيمان بكل ما جاء في القرآن بمجاليه: العبادي، والغيبية؛ فالقرآن دستور حياة محكم، بل شديد الأحكام، لم يترك صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها، وحدد لنا أبعادها ومقتضياتها، وكأن النص القرآني هو الحبيكة التنظيمية الكبرى، وسيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- هو الحبيكة التنفيذية الكبرى، فقد قال الله تعالى عن رسولنا الكريم: "وإنك لعلی خلق عظیم" (القلم/4)؛ فبهما معا يختار الإنسان طريقة في هذه الدنيا وفيما سيؤول إليه بعدها.

ولا بد من الإشارة أن ما ذكره علماء الفلك في عصرنا الحديث هو امتداداً لنظرية (إسحاق نيوتن) ومن بعده (أينشتاين)؛ حيث أن (نيوتن) صاحب نظرية (الجاذبية) رأى أن القوة التي تجذب التفاحة إلى الأرض هي نفس القوة التي تبقي على القمر في مداره حول الأرض، وبالرغم من وصف نيوتن لقوانين الجاذبية بدقة بالغة إلا أنه لم يكن لديه فكرة عن الكيفية التي تعمل بها الجاذبية، نتيجة لذلك استكمل (أينشتاين) فكر (نيوتن) ورأى أن الأبعاد الثلاثة للمكان والبعد المفرد للزمان مشدودون إلى بعضهم البعض بنسيج زماني مكاني واحد، ويصف هذا النسيج بأنه يشبه تماماً سطح الترامبولين -دائرة القفز الرياضية-، فهو يلتوي ويتعرج ويتمدد بوجود الأشياء الثقيلة كالنجوم والكواكب فوقه، وهذا الالتواء والتعرج للزمان والمكان هو الذي يسبب ما يُعرف بـ (الجاذبية)، وهكذا فإن كوكباً مثل الأرض يظل في مداره ليس لأن الشمس تمد جاذبيتها وتمسك به كما ذكر نيوتن، ولكن لأنه يتبع مسار الانحناءات الموجودة في النسيج الفضائي والتي تسببها وجود الشمس، كل ذلك

ذكرتها مفردة قرآنية واحدة هي كلمة "الحبك" كأقوى كلمة لجامعة للنسيج الكوني بطرائقه المختلفة، فقد يكون النسيج محكما أو هزيلا، قويا أو ضعيفا، مفككا أو مترابطا، غير أن كلمة "الحبك" تعني النسيج المحكم الحبك.

ومن الضروري أن نوضح أن الكون عبارة عن بناء محكم "البناء الكوني" حسب الاكتشافات العلمية الحديثة، وليس فضاء واسع وفراغ مستمر كما كان يُعتقد قديما، وهو بالضبط ما نجده في القرآن: "الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء"، ولم تُذكر كلمة فضاء في القرآن مطلقا.

والجدير بالذكر أن علماء الفيزياء اكتشفوا مؤخرا أنه على عمق سحيق في أي من هذه الجزيئات يوجد شيء آخر هو عبارة عن خيوط متراقصة من الطاقة تبدو كأوتار مهتزة في أشكال مختلفة، ومن هنا اشتق اسم (نظرية الأوتار)، والتي بدورها تصدر المكونات التي تؤلف الجزيئات التي يتكون منها الكون من حولنا، وهذه النظرية كما سماها البروفيسور "براين غرين" نظرية "الأوتار العظمى"، وحتى نهاية ديسمبر 2011 لم يتم إثبات هذه النظرية، وإن تحقق الإثبات فإنها ستدعم بشكل إضافي رؤيتها للشبكة الكونية العظمى (الحبك).

### من المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية.
- الترمذي، سنن الترمذي وهو الجامع الكبير، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، رقم: 3075.
- أ.د. زينب عبد العزيز، الحبك في القرآن، 2021، صفحتها الإلكترونية:  
<https://www.facebook.com/dr.ZainabAbdulAziz>
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، أعاد طبعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ - 1985م.
- محمد سيد طنطاوي، تفسير سورتى الفاتحة والبقرة، مطبعة السعادة، 1397هـ - 1977م.
- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي أبو عمر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: وزارة الأوقاف، ط2، رقم: 1661.

